

التصوير البياني لدى محمد بلو من خلال ديوان إفادة الطالبين

الدكتور أحمد حامد أحمد

ahattoto@naj.com

و

أبوبكر ثاني علي

asaliyurijiya@gmail.com

المقدمة:

الحمد لله العلي المتان، الذي خلق الإنسان، علمه البيان. والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن، فصار في كافة الأمور خير فرقان، وأبهر المعجزات في البيان والتبيان، وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن اللغة العربية بصفتها أفضل اللغات وأوسعها في ثروة الألفاظ وغزارة المعاني، وقد أنعم الله عليها بأجل النعم، أن خلق لها أقواماً أفنوا أعمارهم حفظاً لأصالتها، وتطويراً لمجالاتها، عن طريق وضع المصنفات التي تحمل القواعد النظرية لها، وابتكار الإنتاجات الأدبية التي تمثل مختلف ظواهرها: لغوياتها، وأدبياتها، وبلاغياتها، انطلاقاً من القرون المتقدمة وحتى القرن التاسع عشر الذي ظهر فيه شخصيات علمية خلفوا لنا إنتاجات أدبية يترأى لدارسها عديد من الظواهر البلاغية، ومن بين تلك الشخصيات - على صعيد المجتمع النيجيري - أمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، وخاصة في ديوانه إفادة الطالبين الذي جمعه الوزير جنيد بن محمد البخاري.

وتحتوي هذه المقالة على دراسة التصوير البياني من هذا الديوان على ضوء النقاط التالية:

النقطة الأولى: نبذة تاريخية عن الإمام محمد بلو وديوانه.

النقطة الثانية: التشبيه ونماذجه في إفادة الطالبين.

النقطة الثالثة: المجاز في إفادة الطالبين.

النقطة الرابعة: الكناية ونماذجها في إفادة الطالبين.

الخاتمة.

النقطة الأولى: التعريف بأمر المؤمنين محمد بلّو وديوانه.

هو الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان، المعروف بابن فُودي. ولد بقرية "طغل" عام: ١١٩٥ هـ. أخذ العلم عن كثير من العلماء أشهرهم وأبرزهم والده الشيخ عثمان بن فودي، وعمه الأستاذ عبد الله بن فودي، والأستاذ محمود، كما أخذ عن الأستاذ مُودي، والأستاذ سليمان، والأستاذ أحمد البرنّاوي.^٢ ألف الإمام محمد بلّو كتباً كثيرة، وفيما يلي عرض موجز لطائفة منها^٣:

- ١- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.
 - ٢- الإشارات إلى العلوم التي في سبع المثاني.
 - ٣- البر والصلة.
 - ٤- جلاء الصدور عما يختلج فيها من صدى الغرور.
 - ٥- حلية البصائر في الأحكام اللازمة على المسافر.
 - ٦- كتاب أصول السياسة والكيفية المخلصة من أمور الرّياسة.
 - ٧- نصح كاف وبالمقصود إن شاء الله كاف.
- توفي أمير المؤمنين رحمه الله تعالى عام: ١٢٥٣ هـ^٤.

ديوانه:

يمثّل كتاب إفادة الطالبين ديوان قصائد أمير المؤمنين محمد بلّو، جمعها الشيخ الوزير جنيد بن البخاري، ويحتوي على ثمانمائة وواحد وأربعين بيتاً، في ثلاث وأربعين قصيدة،

تشتمل على موضوعات مختلفة، من المدح، والرثاء، والهجاء، والوعظ والإرشاد، والتحدث بالنعمة، والاستغاثة، وإظهار الشوق والحنين، وإظهار الإنابة إلى الله، والغزل الصوفي.

النقطة الثانية: التشبيه ونماذجه في إفادة الطالبين.

يجدر بنا في هذا الصدد سرد الكلام عن تعريف البيان لدى اللغويين والبلاغيين ليكون تمهيدا للشروع في الحديث عن مباحثه. والبيان لغة: من بان الأمر، يبين، فهو بَيِّن، وجاء بائن على الأصل، وأبان إبانة، وبَيَّن وتَبَيَّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف.^٥ واصطلاحاً: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. كقولك: "طُنَّ غُطِّي جواد كريم"، وقولك: "طُنَّ غُطِّي كالبحر في الجود"، وقولك وقد رأيت طُنَّ غُطِّي الذي تعتقد جوده وكرمه: "رأيت بحراً في سيارة فاخرة"، وقولك: "الجود بين كُفِّي طُنَّ غُطِّي والسخاء في جيبه".

فإننا في هذه الأساليب الأربعة عبرنا عن جود طُنَّ غُطِّي بالأسلوب الحقيقي أولاً، وبالأسلوب التشبيهي ثانياً، وبالأسلوب الاستعاري ثالثاً، وبالأسلوب الكنائي أخيراً، فهي تعبيرات مختلفة لأداء معنى واحد.

التشبيه ونماذجه في إفادة الطالبين:

التشبيه لغة: يقال: الشَّبَّه والشَّبَّه والتشبيبه: المثل^٦.

والتشبيه في الاصطلاح: هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدره، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه.^٨ وينقسم التشبيه إلى أقسام مختلفة باعتبار ذكر أو حذف الأداة، أو وجه الشبه، أو هما معاً، فيسمى التشبيه مرسلاً إذا كان فيه الأداة،^٩ كقولك: المُولد كالإنسان تشد بعضه بعضاً، ويكون التشبيه مؤكداً إذا حذفت منه الأداة،^{١٠} كقولك: محمد أسد في الشجاعة، ويسمى مجملاً إذا حذفت الوجه،^{١١} كقولك: محمد كالأسد، ومفصلاً إذا ذكر الوجه،^{١٢} كقولك: هو كالبحر في العطاء، وكذلك يسمى بليغاً إذا حذفت الأداة والوجه معاً،^{١٣}

كقولك: فلان أسد. أما باعتبار هيئة وجه الشبه تجد التشبيه إما مفرداً لا تركيب فيه، وهو ما كان وجه الشبه فيه شيئاً مفرداً، كقولك: سليمان كالبحر في الجود، وإما تمثيلاً، وهو ما كان وجه فيه منتزعا من أمور متعددة.^{١٤} كقول الشاعر:

المستجير بعمرو عند كرتته * كالمستجير من الرمضاء بالنار^{١٥}

ويكون التشبيه مقلوباً إذا عكس التشبيه، فكان المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً، ومن ذلك قولك في النجوم: "كأنها مصابيح"،^{١٦} ويأتي التشبيه ضمناً؛ وهو ما يلمح المشبه والمشبه به في التركيب بدون أن توضع لهما صورة من صور التشبيه المعروفة، إيماناً بأن التشبيه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس.^{١٧}

نماذج التشبيه:

مما يمثل التشبيه المرسل قول الشاعر:

كَأَنَّ رَحْلِي بِدِي ضَالٍ وَدَارَتَهَا * عَلَى أَقْبٍ يَجْزَعُ يَبْتَغِي أَتْنَا
فَدَاكَ يُبْلِغُنِي دَارًا بِهَا نَزَلَتْ * سَحَابَةُ الْعِلْمِ نَهْمِي لَمْ تَزَلْ زَمَنَا
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ جَلَى لَيْسَ يَحْجُبُهُ * غَيْمٌ فَأَشْرَقَ فِي الْآفَاقِ إِذْ عَلْنَا

يصف الشاعر فرسه بالبهجة والإشراق، ويبين كيفية ظهوره في الآفاق، فيصور ذلك في صورة التشبيه المرسل بقوله: "كأنه البدر جلاً ليس يحجبه غيم"، فالكاف أداة التشبيه، والمشبه هو الضمير العائد للفرس المعبر عنه بصفته السابق في قوله: "على أقب بجزع يبتغي أتنا"، والبدر هو المشبه به، والوجه المشترك بين المشبه والمشبه به هو الظهور والجلاء.

ويظهر الغرض التشبيهي في بيان ظهور الفرس ظهوراً ليس بعده خفاء وهو جار

في الآفاق لما به من سمات تميزه عن غيره، فنوع التشبيه مرسل لذكر الأداة.

والسر البلاغي في التشبيه كامن وراء إثبات المشابهة بين الفرس والقمر بهجة وتألؤا، بحيث لا يفيد ذلك غير لفظة القمر، فلو استعمل الشاعر غيرها كالنجم مثلا لما أدت المزية المقصودة، لأن النجم دون القمر ضياء. ومما أكد الشاعر في التشبيه قوله:

وَمَا الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا سَحَائِبُ رَحْمَةٍ * تَصُوبُ وَتَهْمِي لِلْوَرَى خَيْرَ صَيْبٍ

يعبر الشاعر في البيت عن حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فعقد التشبيه في ذلك بقوله: "وما الأنبياء إلا سحائب رحمة"، منوها بأنهم غيوث رحمة، تفيض غمام رحمتها للخلق فيضا. ترى الشاعر قد عدل عن ذكر أداة التشبيه التي تفيد الاشتراك بين شيئين للدلالة على قوة المبالغة في أن المشبه والمشبه به شيء واحد، فالأنبياء هم السحائب لا كالسحائب، والغرض من التشبيه هو إظهار مدى رحمة الأنبياء لأمتهم، ونوع التشبيه إذا مؤكدا لعدم ذكر الأداة.

قد أجاد الشاعر في انتقاء كلمة السحائب ليشبه بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الشيء الذي أدى به إلى تحقيق السر البلاغي في هذا التشبيه، فلو قال الشاعر مثلا: (وما الأنبياء إلا بحور)، لما فهم من الأسلوب إلا تشبيه الأبياء بالبحار في الجود، ومن هنا لا يتحقق المعنى المراد من الشاعر، لأن البحار هي الأخرى تتمتع بجود السحائب إياها حين تنزل وتعم الأرض ببركتها، لذلك ينقص لفظ البحار جانب مهم لا يتحقق إلا في لفظ السحائب، ألا، وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفيض خيراتهم، وتنصب بركاتهم، وتعم رحمتهم، ويسري جودهم حتى يعم الخلق الداني منهم والقاصي، كما أن جود السحائب عام يصل إلى القريب والبعيد. ومما بالغ الشاعر فيه التشبيه قوله:

فَتَيَّانُ صِدْقٍ عَدَاةَ الرَّوْعِ تَلْقَهُمْ * * أُسْدًا بِأَثَرٍ أَوْ مِنْ جِنَّةِ الْعُولِ

ينوه الشاعر بذكر المواصفات المحمودة التي يتسم بها قوم الجهاد، التي ينضم تحتها كل ما يحمد عقباه من الشيم والأخلاق، ويرمز إلى قوة شجاعتهم بثبات الأقدام. ففي البيت تشبيهان في قوله: "تلقهم أسداً بأثر"، و "أو من جنة الغول"، حيث بالغ الشاعر في تصوير حالهم يوم القلق والفرع، والخوف، فسماهم "أسداً" و "جنة"، وحذف الشاعر أداة التشبيه والوجه في كلا اللفظين يفتح باب التوهم، وأن تذهب النفس كل مذهب و تتخيل بأن المشبه والمشبه به يتحدان في جهات كثيرة وإن كان اجتماعهما في صفة واحدة وهي البأس.

وتكمن بلاغة التشبيهين في استعمال الشاعر لفظة "أسد" دون غيره من الحيوانات المفترسة اظهارة لشدة بأسهم، لأن جميع حيوانات الغابة دون الأسد شجاعة، فلو استعمل "نمرة" مثلاً دون "أسد" لما حقق ذلك المعنى؛ لأنه دون الأسد شجاعة وقوة، وعليه كان من طباع وعادة الناس أن يشبهوا كل ذي قوة وبأس بالأسد إظهاراً لخطورته وارتعاد عدوه وبث الخوف في نفسه.

وفي استعمال "جنة" مع إضافتها إلى "الغول" ما يدل على مدى خطورتهم وبث الخوف في اللقاء بهم في ساعة الوغى، فلو استعمل غيرها من المخوفات، لما نجح في تصويرهم بتلك الدرجة من الخطورة والتخويف، هذا في حال أفراد لفظة "جنة" وتجريدها عن الإضافة، فكيف الحال مع إضافتها إلى مسمى مخيف جداً، والذي من عادة الناس أن يخوفوا به الأطفال والصبيان، فلا شك أن الصورة تزداد رعباً في النفس.

ومن التشبيه المفرد في الإفادة قوله:

هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ * * * وَنُورٌ هُدًى لِلْمُهْتَدِي الْمُرْتَقِبِ

والشاهد في البيت: "هو الرحمة المهداة" تشبيه مفرد، وفيه يشبه الشاعر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة الموهوبة للعالم كافة، فالوجه فيه وصف واحد، إضافة إلى كونه تشبيهاً بليغاً لحذف الأداة والوجه معاً، وكذلك في عجز البيت تشبيه مفرد: "ونور هدى

للمهتدي"، فيه تشبيه الرسول عليه الصلاة والسلام بالنور في الهداية، أي: وهو نور هدى في الإرشاد لمن يروم ذلك.

ومن تشبيه التمثيل في الإفادة قول الشاعر:

وَقَفْتُ صَحِي لَمَّا أَنْ مَرَزْتُ بِهَا ** فَمَا وَجَدْتُ بِهَا قَوْمًا وَلَا طَعْنَا

خَلْتُ كَأَنَّ بِهَا خَيْطُ النَّعَامِ ضُحَى ** كَوْمٌ تَرَوْتُ وَأَمْتُ فِي الضُّحَى عَطْنَا

يحمل البيت الثاني تشبيه التمثيل، فالشاعر يشبه صورة القوم الطاعنين مع اختلاف ألوان ملابسهم بصورة النعام وما بها من خيوط مختلفة الألوان من بياض وسواد، فالتشبيه تمثيلي، لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أشياء متعددة، وهي صورة النعام الكبار السنم المرتوية بالماء، وهي تعمد إلى معاطنها، فجملة هذه الأشياء وصورها هي التي تكوّن منها الوجه، فهو إذاً تمثيلي لعدم كونه وصفا واحداً.

فصورة المشبه مركبة من عدة أمور تقابل أموراً أخرى في المشبه به، فالطاعنون الخياليون تقابل كثرتهم كثرة النعام، وعظم شخصياتهم يوازي كون النعام كبار السنم، وتوجههم إلى مكان ينزلون فيه يشابه انسياح النعام إلى مطاعنهم وقت الضحى. فالغرض البلاغي من التشبيه إظهار كيفية أحوال صفات المشبه، وهم القوم المخيلون الطاعنون.

النقطة الثالثة: المجاز في إفادة الطالبين.

المجاز لغة: من جوز: جزت الطريق وجاز الموضع جوازي وجؤوزا وجوازا ومجازا، وجاز به وجاوزه وأجاز غيره وجاهزه فيه وسلكه.^{١٨}

والمجاز في الاصطلاح: إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل.^{١٩}

والمجاز بأقسامه الثلاثة: المجاز العقلي، والمجاز المرسل، والاستعارة، يحتل منزلة عظمى من بين الوجوه البلاغية، وتباليوثائق البلاغية أن المجاز أبلغ من الحقيقة، كما أن الكناية أبلغ من الإفصاح.^{٢٠}

ويعتبر هذا الأسلوب من الصور البيانية التي استخدمها الإمام محمد بلو في أشعاره كأنماط بلاغية قيمة، يجري نصوصه عليها. ويستخدمها أداة للإقناع والاحتجاج. **المجاز العقلي**: عبارة عن إسناد فعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. ٢١ نحو: "من سرّه زمن ساءته أزمان".
ومما يمثل المجاز العقلي في الإفادة قول الشاعر:

أَلِمَّ بِسَاحَةِ أَحْبَابِي وَسَادَاتِي * وَأَشْفِ الْجِنَانَ بِهَمِّ مِنْ كُلِّ إِعْنَاتِ
وَارْبَعِ عَلَيْهَا وَشَمِّ مِنْ مُزْنِ عَارِضِهَا * بَرَقَ الْوَصَالِ وَإِذْرَارَ الْمَسْرَاتِ
وَأَنْفِ الْهُمُومِ وَأَشْجَانًا تُكَابِدُهَا * فَقَدْ تَحَلَّصْتُ مِنْ وَعْثِ الْمَعْرَاتِ

يخاطب الشاعر شخصا خياليا جرّده من نفسه، فيطلب منه النزول برحاب الديار الكُنْتِيَّةِ، ديار أحبته وساداته، ليحصل بها على الخير والمير والمسرة، ويشفي الجنان من العيوب والعناء، كما يصرف عن نفسه ما يقاسيها من الهموم والغموم.
ورد في الأبيات مجازان عقليان: الأول: "واشف الجنان بهم"، مجاز عقلي، حيث أسند الإشفاء إلى الشخص المخاطب، والحال أن الشخص المخاطب لا يشفي أحدا لا نفسه ولا غيره، وإنما الشافي الحقيقي هو الله، وعلاقة المجاز سببية، لأنه سبب في ذلك لحلوله محلّ الأحباب، والغرض من المجاز هنا إظهار الشاعر شدة الرّغبة في الشوق إلى الوصول بالأحباب.

والثاني: "وانف الهموم وأشجانا تكابدها"، مجاز عقلي، لما فيه من إسناد نفي الهموم والأحزان وصرّفها عن الخالق إلى المخلوق، وفي الحقيقة لا ينفىها ويصرفها عن أحد إلاّ الحقّ الأحد سبحانه وتعالى، ولما كان المخاطب سببا لذلك، لربوعه منازل الأحباب، أسند إليه نفي الهموم مجازا لعلاقة سببية، ويظهر الغرض البلاغي في إعلان شدة الشوق إلى الوصول بالسادات الكُنْتِيَّةِ.

المجاز المرسل: كلمة استعملت في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي. نحو رعت المشية الغيث.^{٢٢} ومن المجاز المرسل قول الشاعر في الإفادة:

لِمَنْ طَلَّلَ عَافٍ بِذَاتِ بَطَاحٍ * فَأَكْنَافِ ذَارَاتِ فِدَاتِ بَرَاحٍ
وَقَفْتُ بِهِ صَحْبِي أَسْأَلُ رَبْعَهُ * عَنِ الْحَيِّ أَيًّا يَمَّمُوا بِسِجَاحِ

يستهل الشاعر قصيدته بالوعظ والإرشاد وتوجيه السؤال إلى الربوع، محاكاة للشعراء القدامى في استطلاع كثير من أشعارهم بذلك.

ويتمثل محل الشاهد في قوله: "أسائل ربعه عن الحي"، وهو مجاز مرسل علاقته المحلية، لما فيه من إطلاق المحل وهو الربوع والديار والمراد: أهلها، والقرينة لفظية: "أسائل"، فتوجيه السؤال إلى الربوع لا يجدي، لأنها جمادات لا تنطق ولا تتحرك، وإنما الموجه إليه السؤال أهلها لا غير. والسر البلاغي في ذلك هو اظهار شدة الرغبة للشاعر في الوصول بسكان المنازل المذكورة.

الاستعارة.

الاستعارة لغة: من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى شخص آخر.^{٢٣} واصطلاحاً: هي ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له والمراد بمعناه ما استعمل فيه.^{٢٤} وهي على قسمين: تصریحية، ومكنية، فالتصریحية: أن يصرح باللفظ المستعار مجرداً عن حكم المستعار له،^{٢٥} كقولك وقد أقبلك رجل كثير العطاء: شاهدت بجزا، وكقولك في امرأة تخلقت بالجود: حلّت بنا سحابة، أو غير مجرد عن ذلك كقولك: رأيت بدرا على سيارة زرقاء، والمكنية: أن يستعار لفظ دال على حقيقة مقدرة مع إيضاح حال المستعار له بإثبات أمر مختص به، نحو: فلان أنشبت المنية فيه مخالبها، وهي الخيالية.^{٢٦}

ومما يمثل الاستعارة التصریحية في الإفادة قوله:

أَسْدٌ بِأَيْدِيهِمْ سُمْرٌ مُعَلَّبَةٌ * وَكُلُّ عَضْبٍ حُسَامٍ غَيْرَ مَقْلُولِ

يصوغ الشاعر في البيت أسلوب الاستعارة، يصور فيه الممدوحين المعيّنين بصورة الأسد في القتال، يحمل بعضهم رماحاً مجلدة والبعض سيوفاً حادة صارمة غير. ومحل الشاهد في البيت: أسد بأيديهم سمر، ولا بأس أن تلقى الشاعر في هذا الأسلوب يخلع على الممدوحين صفة أقوى حيوان مفترس وأشجع وهو الأسد الحقيقي في زِيّ الاستعارة التصريحية، فيستعير للغزاة الممدوحين من الأسد الحقيقي، ويوقع ذلك تعبيراً عن شجاعتهم المتمكنة في اللقاء، فلا يتولّون، ولا ينصرفون، ولا يدبرون، ولا يميلون إلاّ متحيزين لقتال، لعلاقة المشابهة بينهما في الشجاعة والحماسة.

وجاء هذا التصوير البديع في زِيّ الاستعارة التصريحية اعتماداً على قرينة مفصحة عن ذلك من قوله: " بأيديهم سمر.. " إذ معلوم بالبداهة أن تعاطي الأسلحة وتناولها من رماح وسيوف وغيرها مختص بالحيوان الناطق لا المفترس. والغرض البلاغي في ذلك شدة المبالغة في إظهار شجاعة الممدوحين وتصويرها تصويراً يؤثر في النفس تأثيراً فعّالاً.

النقطة الرابعة: الكناية ونماذجها في الإفادة.

الكناية لغة: كنى عن الأمر يكني كناية، وكنيت الرجل بأبي فلان، وأبافلان، على تعدية الفعل بعد إسقاط الحرف، كنية وكنية.^{٢٧}

والكناية في الاصطلاح: أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردُّفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه؛ مثال ذلك قولهم: " هو طويل النجاد"، يريدون: طويل القامة.^{٢٨}

وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام: كناية عن صفة: أن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة، مثل "عريض القفا" كناية عن صفة الغباوة، وكناية عن موصوف: أن يكون المطلوب بها الموصوف، مثل "المضياف" كناية عن زيد. وكناية عن نسبة: أن يكون المطلوب بها النسبة، بأن يصرح بالصفة ويقصد إثباتها للموصوف بها، مثل: "المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه".^{٢٩}

يميل الإمام محمد بلو إلى استخدام صور من الأساليب البيانية في صبغ الكنى العربية لأغراض بلاغية مختلفة، منها الكناية عن صفة في إفادة الطالبين بقوله:

وَلَقَدْ تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ بِفِنَائِهِمْ * جَزْرًا لَطِيرٍ سَقَبٍ وَذِيَابٍ

حمل الشاعر التزامه بالشيم الحنيفية، التي تعاند الإفراط والتفريط في الأمور، فأدى به ذلك إلى الميل عن الهجاء المفرط في جناب الأعداء الذين وقعوا قتلى، متناثرة الجثث، جزرا للطيور والسباع، فعلى الرغم من ذلك لم يبالغ في تصوير صفتهم الشنيعة التي تركوهم عليها، بل عدل إلى الوصف المعتدل، موريا تلك الصفة ومكنيا عنها بقوله: "جزرا لطير سقب وذياب"، كناية عن صفة إهلاكهم في الفلا مباح الجثة للسباع والذباب. والسر البلاغي وراء هذه الكناية هو إظهار سوء عاقبة هؤلاء الأعداء ووباحة حالهم بعد الموت. ومن الكناية عن موصوف قوله أيضا:

إِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُمْ فِي مَقَامِهِمْ * فَكَيْفَ بِأَعْلَى الْمُرْسَلِينَ الَّذِي اجْتَبِ

يشير الشاعر إلى ما يتسم به الأنبياء من الصفات الكريمة، وذكر فضلهم ورفعة شأنهم إلى درجة أن ثناء الناس لا يبلغ شأوهم، ثم صرح في هذا البيت أنه إذا كان المذكور حال الأنبياء من شرف المنزلة وعلاء المقام، فكيف بحال وشأن أعلى المرسلين الذي كان سيدهم وللخلق بأسرهم.

والشاهد في البيت: "بأعلى المرسلين" كناية عن موصوف، وهو سيد الثقلين، النبي المصطفى عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم، فإن الصفة المعبرة بها عنه مختصة بجنابه عليه الصلاة والسلام.

فقد عدل الشاعر عن التصريح باسمه عليه الصلاة والسلام إلى التعبير بالأسلوب الكنائي بما يختص به ويحيل إليه مهما أطلق: "أعلى المرسلين"، فحقا، إنه أعلى المرسلين. فبذلك يكون الشاعر قد عبر بما هو أبلغ وأشد تأثيرا في الذهن وأوقع في النفس.

ومن الكناية عن نسبة قول الشاعر:

أَيَا عَالِمًا مِمَّا ابْتُلِيَتْ خَيْرُهُ ** فَمَا لِي مُغِيثٌ مُنْقَذٌ وَنَصِيرٌ
سِوَاكَ أَغْنِي مِنِّهُمُومٍ تَتَابَعْتُ ** عَلَيَّ بِلُطْفِ رَبِّ أَنْتَ عَفُورٌ

فالشاعر في حديثه عن إنابته إلى الله عز وجل، وفراره إليه وتبته للعبادة، وانخلاعه عن كل ما من شأنه أن يشغل الإنسان عن ربه سبحانه وتعالى، ينادي خالقه، أيا عالما مما ابتليت خبيره، معترفا بعدم وجود المغيث الذي ينقذه مما أحاط به وتراكم عليه من الذنوب إلا هو الحق المبين الغفور اللطيف.

ويظهر في أسلوب الشاعر عند قوله: "من هموم تتابعت عليّ"؛ أسلوب الكناية عن النسبة، يريد أن يثبت لنفسه الذنوب، فيعدل إلى الكناية بدلا من التعبير بصريح اللفظ في ذلك، فلو شاء لقال: لي ذنوب كثيرة، أو أنا مرتكب كثيرا من الذنوب، أو غير ذلك، ولكنه عدل إلى استخدام الكناية بتصوير الذنوب إنسانا يتابعه ويلزمه. ويكمن الغرض من الأسلوب في استعظام ذنوبه بصورة يظهر فيها تواضعه وتذلل أمام الله الخالق سبحانه وتعالى.

الخاتمة:

وصولاً إلى النهاية، فقد تضمنت المقالة التعريف الموجز بالشاعر وديوانه، وألقت الضوء على مضمون علم البيان وما ينطوي تحته من التشبيه والمجاز والكناية، ثم تناولت بالدراسة التحليلية نموذجاً واحداً لكل من التشبيه والمجاز والكناية في إفادة الطالبين بغية الوقوف على أسرارها البلاغية.

وأخيراً توصلت المقالة إلى أن التشبيه المقلوب لم يرد في إفادة الطالبين - على ما يبدو للباحثين- ولعل ذلك يرجع إلى أنّ الشاعر لم يقصد بتلك الظواهر المساقاة في الديوان قصداً، بل المعاني المرادة في صميم قلبه هي التي أدّت به إلى ما رأينا من تلك الظواهر الواردة في هذه المقالة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والمراجع:

- ١- محمد بلّو، (السلطان) بن الشيخ عثمان بن فودي، إفادة الطالبين (ديوان شعر)، مخطوط بمكتبة الباحثين، ص ٢١.
- ٢- درما، محمد الثاني كانو، إفادة الطالبين لأمير المومنين محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي مسح عام وتقويم، Benchmarks Publishers Kano Nigeria. ISBN: First Published, Ltd 2010\1431 H. ص ١٦ - ١٨.
- ٣- أمير المؤمنين محمد بلّو، من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلّو، دار إقرأ للطباعة والنشر، غسو- نيجيريا، ج ٢، ص ٣.
- ٤- الإمام محمد بلّو بن الشيخ عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع على نفقة الحاج محمد طن إغني طامير يرو، صوكتو- نيجيريا، ص ٢٣.
- ٥- الحموي أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج ١، ص ٧٠.
- ٦- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ط ١، ١٩٨٣ م، ج ١، ص ١٥٦.
- ٧- أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤ و ص ١٩٣.
- ٨- عبد العزيز عتيق، (الدكتور)، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ص ١٠٥.
- ٩- الصعدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح، مكتبة الآداب ميدان الأوبرا- القاهرة، بدون تاريخ، ج ٣، ص ٦٨.
- ١٠- المرجع نفسه، ص ٦٧.
- ١١- المرجع نفسه، ص ٥١.

- ١٢ - المرجع نفسه، ص ٥٣.
- ١٣ - الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن المصطفى، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان
والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤٢.
- ١٤ - عبد العزيز عتيق، (الدكتور)، المرجع السابق، ج ١، ص ٨٦.
- ١٥ - محمد احمد قاسم (الدكتور) ومحبي الدين ديب (الدكتور)، المؤسسة الحديثة
للكتابت، طرابلس - لبنان، ط ١، عام: ٢٠٠٣ م، ص ١٧١.
- ١٦ - الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة، دارالمدني بجدة،
ط ١، عام: ١٩٩١ م، ص ٢٠٤.
- ١٧ - عبد العزيز عتيق، (الدكتور)، المرجع السابق، ص ١٠١.
- ١٨ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان،
ط ٣، عام: ١٤١٤ هـ، ج ٥، ص ٢٢٦.
- ١٩ - القزويني، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٨.
- ٢٠ - الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، دلائل الإعجاز، ط ٣، مطبعة
المدني بالقاهرة، ج ١، ص ٧٠.
- ٢١ - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص ٣٨٥.
- ٢٢ - الهاشمي، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٨.
- ٢٣ - ابن منظور، المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٢٠.
- ٢٤ - الصعيدي، المرجع السابق، ج ٣، ص ٩٢.
- ٢٥ - العلوي، يحيى حمزة بن علي بن إبراهيم، (الإمام)، الطراز لأسرار البلاغة، المكتبة
العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ج ١، ص ١١٩-١٢٠.
- ٢٦ - المرجع نفسه، ص ١٢٠-١٢١.
- ٢٧ - ابن سيده، المرجع السابق، ج ٧، ص ١١٢.
- ٢٨ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص ١٠٨.